

الباب الثالث

منهج التفسير المدرسي للحاج عمر بكري

أ. سيرة الحاج عمر بكري

هو الحاج عمر بكري من أحد علمائنا الإندونيسيين، فكان مؤلفا لكتاب التفسير "رحمة" و التفسير المدرسي " و غيرها من الكتب. وهو أيضا ناشط في نشر الدعوة الإسلامية.

١. مولده و تربيته

ولد الحاج عمر بكري في قرية كاجنج (*Kacang*) على حافة البحيرة سنغارك (*Singkarak*) في سومطرة الغربية في التاريخ ستة و عشرين من يونيو سنة ١٩١٦م. بعد أن تخرج من المدرسة في قرية كاجنج، واصل دراسته إلى المدرسة سمبونجان (*Sambungan*) في سنغارك. ثم واصل دراسته إلى المدرسة الدينية للبنين في فادنج (*Padang Panjang*) و تمت دراسته سنة ١٩٣١م و المدرسة طوالب ١٩٣٢م. ثم واصل دراسته إلى معهد كلية المعلمين الإسلامية في فادنج و تخرج منه سنة ١٩٣٦م بأفضل قيمة. وفي سنة ١٩٥٤م تعلم في كلية الأدب الجامعية الإندونيسية ولكن لم تكمل دراسته فيها.^١

^١ أنظر عمر بكري، تفسير "رحمة" (جاكرتا: ف.ت. موتيارا، ١٩٨٢)، د ص.

٢. أنشطة تعليمه

كان الحاج عمر بكري مدرسا في مدرسة طوالب في فادنج فنجانج من سنة ١٩٣٣م إلى سنة ١٩٣٦م. ثم يكون مدرسا في المدرسة طوالب في فادنج فنجانج منذ سنة ١٩٣٨م حتى تدخل جنود اليابان. وكان أيضا مديرا في مدرسة المعلمين المحمدية فادنج سيدمفوان (Padang Sidempuan) سنة ١٩٣٧م، ثم مدير (The Public Typewriting School) الذي قد أنشئ في التاريخ واحد و عشرين من يناير سنة ١٩٣٨م في فادنج فنجانج. ثم تغير اسمه "بتامن كاماجوان" الذي قام حتى الآن.^٢

٣. أنشطة دعوته

أنه قد نشر دعوته في سومطرة الغربية، وجاكرتا و بندونج. وقد ألقى محاضرة في جامعة الأزهر القاهرة في التاريخ اثنان وعشرين من ديسمبر سنة ١٩٨٤م و في جامعة الإسلامية الحكومية سونن أمبيل سورابايا في التاريخ احد عشر من فبراير سنة ١٩٨٤م، وفي جامعة الإسلامية الحكومية إمام بونجول في التاريخ ستة وعشرين من مارس سنة ١٩٨٤م، وفي جامعة بوغ هاتا في التاريخ ثمانية وعشرين من مارس سنة ١٩٨٤م.^٣

٤. المنظمات والشركات المملوكة

المنظمات التي اتبعها الحاج عمر بكري هي أعضاء الأحزاب السياسة "فرساتوان مسلم إندونيسيا"، ثم أعضاء ماشومي (Masyumi) و كان عضو الرئاسة مشومي في سومطرة

^٢ أنظر عمر بكري، تفسير "رحمة"، د ص.

^٣ أنظر عمر بكري، تفسير "رحمة"، د ص.

الوسطية. ورئيس "إيكاتان فانريت إندونيسيا" في جاكارتا رايا لبعض الفترات، و رئيس المؤسسة الفلاح و المؤسسة المحافظة على الكتاب القرآن الكريم و المؤسسة طوالب جاكارتا. وهو أيضا المؤسس ومدير العام للنشر و الطباعة أوفسيت " موتيارا" جاكارتا و "أنكاسا" بندونج. بني النشر "موتيارا" في التاريخ واحد من نوفمبر سنة ١٩٥١م في بوكيتينجي (Bukittinggi)، و بني النشر "أنكاسا" في التاريخ ثلاث عشر من يناير سنة ١٩٦٦م في بندونج. و في سنة ١٩٧١م بنيت الطباعة أوفسيت "أنكاسا" في بندونج، و بنيت الطباعة أوفسيت "موتيارا" سنة ١٩٧٢م في جاكارتا.^٤

٥. العلاقات الخارجية

الحضور في برنامج المؤتمر (International Publisher Association) سنة ١٩٧٦م في كيوتو (Kyoto) و سنة ١٩٨٠م في كوبنهاغن (Kopenhagen). وإقامة علاقات مع الناشرين خارج البلاد (آسيا، و أوروبا و أمريكا).^٥

٦. مؤلفاته

- Tafsir Rahmat
- Uraian lima puluh hadis
- Memantapkan rukun Iman dan Islam
- Apakah ada nasikh dan Mansukh dalam al-Qur'an?
- Al-Qur'an Mukjizat yang terbesar
- Keharusan memahami isi al-Qur'an
- Pelajaran Sembahyang

^٤ أنظر عمر بكري، تفسير "رحمة"، د ص.

^٥ أنظر عمر بكري، تفسير "رحمة"، د ص.

- h) Kebangkitan umat Islam di abad ke-XV Hijriyah
- i) Akhlak Muslim
- j) Polemik Haji Umar bakry dengan H.B.Yasin tentang al-Qur'an bacaan mulia.
- k) Bung Hatta selamat jalan cita-citamu kami teruskan.
- l) Kamus Indonesia Arab Inggris
- m) Kamus Arab Indonesia Inggris
- n) Al Ahadissahihah
- o) Makarimul Akhlak
- p) Islam menentang Sekularisme
- q) Menyikap Tabir Arti "Ulama".
- r) Kamus Arab Indonesia
- s) Kamus Indonesia Arab
- t) Dengan Taqwa Mencapai Bahagia
- u) Bunga rampai sumpah pemuda
- v) Menyingkap tabir arti "ulama"

ب. لمحة عن كتاب التفسير المدرسي

هذا الكتاب مكتوب باللغة العربية. سمي هذا الكتاب بإسم التفسير المدرسي لأن عمر يرجو أن يكون هذا التفسير مادة للتعليم في مدارسنا الإسلامية بإندونيسيا. فإن مدارس الإسلامية في وطننا إندونيسيا العزيزة محتاجة إلى كتب التفسير الملائمة لمدارك الطلبة و المناسبة لدروسهم المدرسية بعبارات واضحة وتراكيب سهلة. و قد بذل جهد المؤلف في تأليف التفسير المدرسي، و يقول أن هذا التفسير قد جمعه من عدة كتب التفسير، ليكون عوناً للطلاب على فهم كلامه عز وجل.^٦

^٦ عمر بكري، التفسير المدرسي (فونوروكو: دار السلام، د ت)، د ص.

التفسير المدرسي ينقسم إلى مجلدين مع كل منهما غطاء لونه أخضر. أما تحديد كتاب التفسير

المدرسي فبيانته كما يلي:

إسم الكتاب : التفسير المدرسي

مؤلف : الحاج عمر بكري

الطبعة والنشر : دار السلام، فونوروكو (الجاوي الشرقية)

عدد الصفحات : (الجزء الأول) ٩٦ صفحة و (الجزء الثاني) ١٧٥ صفحة

من التحديد المذكور لم تجد الباحثة تاريخ البدء و الإنتهاء قطعاً في تأليف التفسير

المدرسي، بل تجد الباحثة سنة الطبعة الجديدة لكتاب التفسير المدرسي للجزء الأول و سنة تمت

كتابة التفسير للجزء الثاني فقط. أولاً، طبعة جديدة لكتاب التفسير المدرسي في الجزء الأول:

ذوالقعدة ١٤٢١ هـ/ فبراير ٢٠٠١ م. وأما كتاب التفسير المدرسي للجزء الثاني فقد تم كتابته

صباحاً يوم الخميس ١٥ شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٩ هـ/ ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٠ م بفادنج

فانجانج.

قال إصلاح غوسميغان: كتب هذا التفسير في العصر ١٩٥٠ بطريقة التربية المدرسية

الحديثة. حتى الآن هذا التفسير لا يزال أن يستخدم للدروس المدرسية في معهد دار السلام

كونتور.^٧

⁷ Israh Gusmian, "Tafsir al-Qur'an di Indonesia: Sejarah dan dinamika," *Jurnal Studi Al-Qur'an dan Tafsir di Nusantara*, Vol. 1, No. 1 (Yogyakarta: AIAT, 2015), 13.

كما ذكرنا سابقا إن التفسير المدرسي له استحقاق أن يستخدم للطلاب في المستوى الأول التي تريد دراسته، ولذلك استعمل معهد دار السلام كونتور كتابا صغيرا من الكتب للتعلم. ككتاب التفسير المدرسي، لأنه مناسب لدروسهم المدرسية، لأن المتوقع هو أن يفهم كل طالب كتابا صغيرا لأجل الفهم ولتسهيل فهم الكتاب الكبير الآخر في وقت لاحق.

أما طريقة التعليمية المطبقة في معهد دار السلام كونتور فهي شرح المعلم الدرس الطلاب باللغة الأصلية كما هو في الكتاب كي يفهموا مضمونه و لغته، ثم عندما يطلب من الطالب شرح الدرس مرة أخرى، يكون قادرا على إعادة شرح الدرس باللغة الأصلية.

هكذا، فإن المزايا من طريقة التعليمية في معهد دار السلام كونتور هو تدريس الطلاب باستخدام اللغة الأصلية كما في الكتاب، لأن الواجب منهم ليس فيه فهم مضمون الكتاب فقط إنما أيضا القدرة على تطبيق لغته، كمحادثة يومية، و غير ذلك لتسهيل فهم الكتب العربية الأخرى. ولذلك كان معهد دار السلام كونتور و و المعاهد التي تحت رياسته يستخدم كتاب التفسير المدرسي للمادة التعليمية. لأنه مناسب لمدارك الطلاب و دروسهم المدرسية بعبارات واضحة وتراكيب سهلة.

أما ترتيب محتويات البحث في كتاب التفسير المدرسي: المجلد الأول يحتوي مقدمتين، مقدمة الأولى فيها التقريظ من الأستاذ محمود يونس، و تليها مقدمة الثانية فيها التقريظ من الأستاذ مختار يحي مدير الكلية الإسلامية بفادنج. ثم تليها الصفحة الأولى إلى صفحة ٩٦ تحتوي فيها

التفسير سورة الفاتحة و سورة البقرة إلى آية ٦٣، وختم بذكر فهرس الكتاب ليسهل القارئ في البحث

عن تتابع رقم السور و الآيات التي يجب دراستها. مثال الجدول كما يلي:

سورة الفاتحة	الآيات	رقم الصفحة
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم	الآيات ١-٧	١
سورة البقرة		
قوله تعالى الم (١) ذالك الكتاب لا ريب فيه ...	الآيات ٥-١	١٣
قوله تعالى إن الذين كفروا سواء عليهم.....	الآيات ٦-١٠	٢٠
قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا	الآيات ١١-١٦	٢٧
قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد	الآيات ١٧-٢٠	٣٢
قوله تعالى ياأيها الناس اعبدوا	الآيات ٢١-٢٢	٣٨
قوله تعالى وإن كنتم في ريب	الآيات ٢٣-٢٥	٤٣
قوله تعالى إن الله لا يستحي	الآيات ٢٦-٢٩	٥٣
قوله تعالى وإذا قال ربك للملائكة	الآيات ٣٠-٣٩	٦١
قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا	الآيات ٤٠-٤٦	٧١
قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي	الآيات ٤٧-٥٧	٧٩
قوله تعالى وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية	الآيات ٥٨-٦٣	٨٨

والمجلد الثاني يحتوي فيه المقدمة من المؤلف، ويليه تفسير سورة البقرة من آية ١٤٢

إلى آية ٢٥٢، وختم كذالك بذكر فهرس الكتاب كما يلي:

سورة البقرة	الآيات	رقم الصفحة
-------------	--------	------------

١	الآيات ١٤٢-١٥٢	قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس
١٢	الآيات ١٥٣-١٥٧	قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استعينوا
١٨	الآيات ١٥٨-١٦٢	قوله تعالى إن الصفا والمروة
٢٣	الآيات ١٦٣-١٦٥	قوله تعالى وإلهكم إله واحد
٣٠	الآيات ١٦٦-١٧١	قوله تعالى إذ تبرا الذين اتبعوا
٣٨	الآيات ١٧٢-١٧٦	قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا
٤٤	الآيات ١٧٧	قوله تعالى ليس البر أن تولوا
٥٢	الآيات ١٧٨-١٨٢	قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
٦٠	الآيات ١٨٣-١٨٥	قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام...
٦٧	الآيات ١٨٦-١٨٩	قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
٧٥	الآيات ١٩٠-١٩٥	قوله تعالى وقتلوا في سبيل الله الذين
٨١	الآيات ١٩٦-١٩٧	قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله
٨٩	الآيات ١٩٨-٢٠٣	قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا
٩٤	الآيات ٢٠٤-٢٠٧	قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله
١٠٠	الآيات ٢٠٨-٢١٢	قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
١٠٥	الآيات ٢١٣-٢١٥	قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث
١١٣	الآيات ٢١٦-٢٢٠	قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره
١٢٥	الآيات ٢٢١-٢٢٣	قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى
١٣٢	الآيات ٢٢٤-٢٢٨	قوله تعالى ولا تجعلوا لله عرضة لأيمانكم
١٤٠	الآيات ٢٢٩-٢٣١	قوله تعالى الطلاق مرتن فإمساك بمعروف
١٤٧	الآيات ٢٣٢-٢٣٣	قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن
١٥٣	الآيات ٢٣٤-٢٣٧	قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويرون

١٥٩	الآيات ٢٤٢-٢٣٨	قوله تعالى حافظوا على الصلوات
١٦٣	الآيات ٢٤٥-٢٤٣	قوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من
١٦٨	الآيات ٢٤٩-٢٤٦	قوله تعالى ألم تر إلى الملا من بني

أما تقرّظ على كتابة التفسير المدرسي فقال محمود يونس: فقد أطلعت على كتاب التفسير المدرسي الذي ألفه ابننا النجيب عمر بكري، خريج كلية المعلمين الإسلامية ومدير مدرسة المعلمين المحمدية. فوجدت أنه وحيد في بابه فريد في عصره لأن مؤلفه لخص التفسير الكبير في حجم صغير. أما مؤلف هذا التفسير فقد أجاد في تأليفه إجادة لم يسبق إليه مؤلف من أبناء وطنه. فسار فيه طريقة متوسطة ليوصل أبناءه إلى غاية منشودة فجزاه الله عنا خير الجزاء.^٨

وقال الأستاذ مختار يحيى: إن التفسير المدرسي الذي قد ألفه الشاب النجيب عمر بكري لتلاميذ الإسلامية بهذا الوطن. فجاء مناسباً لمداركهم وموفقاً لاستعدادهم. وقد كانت مدارسنا جد محتاجة إلى مثل هذا الكتاب لعدم وجود كتاب مدرسي ألف في هذا العلم يناسب مدارسنا، حتى قام المؤلف بتأليف هذا الكتاب، وأخرجه إلى عالم الوجود، وكأنه قد سد ذلك الفراغ العظيم الموجود في مدارسنا. ولا يسعني هنا إلا أن أظهر إعجابي بهذا الشاب النابه فقد سهل للطلبة الإندونيسيين دراسة التفسير بإخراج هذا الكتاب.^٩

^٨ أنظر تقرّظ في مقدمة الكتاب التفسير المدرسي، الجزء الأول.

^٩ أنظر التقرّظ في مقدمة الكتاب التفسير المدرسي، الجزء الأول.

ج. ترتيب محتويات البحث في تحليلات الآيات

كل تفسير كتبه المفسر له طرائق و ترتيبات مختلفة بكتب تفسير أخرى. و أما الاختلاف فيها يعتمد على الاتجاه و الخبرة و الرغبة و وجهة النظر المؤلف متأثر على المعرفة الخلفية و الخبرة الأساسية و الأهداف التي يتعين تحقيقها من المؤلف.^{١٠}

المراد بطريقة كتابة التفسير هي هيكل الطريقة التي يستخدمها المفسر في تقديم كتاب التفسير. و أما الترتيب في تفسير الآيات هو صياغة القواعد أو الكيفية على تفسير الآيات. لذلك، المراد بطريقة كتابة التفسير قد كانت لها على كتابة التفسيرية التقنية، وليست لها على طريقة التفسيرية التي فسرها بالمنهجية. و أما الترتيب على تفسير الآيات أكد على اجراء التفسير من خلال أو بناء على ترتيب الآيات القرآن.^{١١}

و أما ترتيب محتويات البحث في التحليلات على الآيات كما يلي:

ترتيب محتويات البحث في التحليلات على الآيات في التفسير المدرسي باستعمال النظم القرآني على ما هو موجود في المصحف آية بعد آية. لو فسر عمر كل آية من السورة الفاتحة و السورة البقرة وجد فيه بعض الآيات التي لم يفسرها من آية ٦٤ إلى آية ٢٥١. ولم تجد الباحثة الحجة على الآيات التي لم يفسرها عمر.

¹⁰ Amiroh, "Metode dan Corak Tafsir Muyassar," *Skripsi* (Semarang: Fak. Ushuluddin UIN Walisongo, 2015), 86.

¹¹ Islah Gusmian, *Khazanah Tafsir Indonesia dari Hermeneutika hingga Ideologi* (Yogyakarta: LKiS, 2013), 122-123.

١. تقديم الآيات في البحث الأول، قبل تفسير الآيات عرض عمر سورة واحدة أو بعض

الآيات التي يريد تفسيرها.

٢. بعد تقديم الآيات شرح عمر المفردات القرآنية التي لا يتأتى فهمها، و فسر الآيات قطعة

فقطعة.

٣. ذكر مناسبة الآية بآية ما قبلها وبما بعدها.

٤. ذكر أسباب نزول الآيات.

٥. بعد شرح تفسير الآيات وضع عمر الأسئلة بعد تلك الآيات المفسرة ليرسخ فهمها في

عقول الطلبة.

أمثلة ترتيب محتويات البحث في التحليلات على الآيات هي سورة البقرة، الآية ٦-١٠ كما

يلي:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩

فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ١٠

المفردات

الإنذار = التخويف. ختم = طبع. غشاوة = ما تغطي به الشيء. غطاه = غشاة. المخادعة

= إظهار خلاف ما في الباطن. الشعور = إدراك ما خفى.

تفسير الآيات

وقد اتضح لنا في الآيات الماضية أن الذين اهتدوا بهداية القرآن قسمان "طبقتان" فهذه الآية تبين طبقة ثالثة من الناس بالنسبة لهداية القرآن وهم الكافرون، ثم تليهم طبقة أخرى وهم المنافقون — الذين يظهرون من أقوالهم وفي بعض أعمالهم أنهم مؤمنون ولكنهم في حقيقة أمرهم كافرون بل شر من الكافرين. فهذه أقسام أربعة ينقسم إليها الناس إذا بلغهم القرآن ونظروا فيه، ودعوا إلى الإيمان به، والأخذ بهدايته.

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) هذا بيان للقسم الثالث وهم الكافرون الذين يرفضون هداية القرآن وراء ظهورهم، الكفر في اللغة ستر الشيء وإخفاؤه وتغطيته، المراد بالكفر هنا عبارة عن جحود ما صرح الكتاب المنزل أنه من عند الله، أو جحود الكتاب نفسه أو النبي الذي جاء به، وبالجملة ما علم من الدين بالضرورة بعد ما بلغت الجاحد الدعوة وعرضت عليه الأدلة على صحتها.

(سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي إن الذين كفروا لم يدخلوا المستعدين للإيمان لرسوخهم في الكفر، يستوى الإنذار وعدمه بالنسبة إليهم في الواقع، فالذي يعرض عن النور مع العلم به ويغمض عينيه كيلا يراه بغضا له لذاته أو تألما به أو عنادا وعداوة لمن دعاه إليه. ماذا يفيد النور وماذا يعيب النور من إعراضه؟ والذي لا يعرف النور ولا يحب أن يعرفه لفساد طبيعته أو لإفساد الجهل وجدانه حتى لا يمكن أن يميز بين نور وظلمة ولا نافع وضار، ولا بين لذيذ ومؤلم، ماذا عساه يفيد النور مهما سطع أو يؤثر الضوء مهما ارتفع؟

(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أي أنهم فقدوا الدواعي والأسباب التي تعطفهم إلى النظر والفكر في أدلة الإيمان ومحاسنه، لتمكن الكفر في قلوبهم ختم الله على قلوبهم فلا يدخلها غير ما رسخ فيها، وعلى أسماعهم فلا يسمعون آيات الله المنزلة سماع تأمل وتفقه، وعلى أبصارهم غشاوة — دون رؤية آيات الله الدالة على الإيمان فإسناد الختم إلى الله تعالى لبيان سنته تعالى في أمثالهم، وهو لا يدل على أنهم مجبورون على الكفر، ولا على منع الله تعالى إياهم بالقهر وإنما هو مجرد التمثيل لسنته تعالى في تأثير تمرنهم على الكفر وأعماله في قلوبهم. الآيات الآتية موضحة لذلك (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم)^{١٢} (وبما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا).^{١٣} فذكر الله تعالى أن الطبع على قلوبهم إنما هو بسبب كفرهم وتلك المعاصي التي أسندها إليهم.

تنكير العذاب في قوله "عذاب" للإشارة إلى أنه نوع منه مبهم مجهول عند أهل الدنيا، وللتعظيم والتهويل، فهو شديد الإيلام وطويل الزمان، وهذا العذاب ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا والآخرة معا، كما في قوله: (لهم في الدنيا حزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم).^{١٤} فالإعراض عن هدي القرآن وما أرشد إليه من إصلاح المعاش والمعاد جزاؤه الضنك والضيق وفقد العزة والسلطة في الدنيا والعذاب العظيم في العقبى.

^{١٢} سورة المنافقون: الآية ٣.

^{١٣} سورة النساء: الآية ١٥٥.

^{١٤} سورة البقرة: الآية ١١٤.

(وَمِنَ النَّاسِ مَنُ يَقُولُ آمَنَّا) هذه الآية مبينة لأحوال الطبقة الرابعة من الناس وهم طبقة ثانية من الذين لم يهتدوا بهداية القرآن، وهي تتناول على عمومها من كان في عصر التنزيل، وهي مع ذلك عبرة شاملة لمن مضى ولمن يجيء من هذا الصنف إلى يوم القيامة، لأن الله لم يقل (وآمنا بك يا محمد) "وما هم بمؤمنين" أي وما هم بداخلين في جماعة المؤمنين الصادقين البتة، وما كان عندهم من خبر — ما — للتأكيد في نفي الإيمان عنهم، وما كان عندهم من بعض الأعمال كصلاة وصيام وصدقة فليس صادرا من الإيمان وإنما مبعثه رياء الناس والسمعة وهم من وراء ذلك منغمسون في الشرور والمعاصي.

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ) لما كان إخفاء الشيء عن الله محالا، فكان المراد هنا مخادعة صورية لا حقيقية، وصيغة المشاركة لا تطرد فيها المشاركة بالفعل كما قلت: "عافيت اللص". فكانوا يعملون عمل المخادع، لا عمل الطائع الخاضع فلا يجزون جزاء المؤمنين المخلصين في الآخرة، بل يكونون في الدرك الأسفل من النار، وهم الحقيقة لا يخادعون الله والمؤمنون بل كانوا أنفسهم يخدعون، لأن ضرر عمله خاص بهم وعاقبته وبال عليهم وحدهم وما يشعرون ولا يدركون عاقبة مخادعتهم، لأنهم يجزون في كذبهم وتليبهم وريائهم على ما ألفوا وتعودوا، وفلا يحاسبون أنفسهم عليه ولا يراقبون الله فيه فيعملون علم المخادع له ولا يشعرون بذلك.

وأما مخادعتهم المؤمنون لأنهم اتخذوهم أعداء وهم عاجزون عن إظهار عداوتهم، فأعمالهم التي يقصدون بها إرضاء المؤمنين كلها خداع ورياء. فالمؤمنون بالله واليوم الآخر ومع ذلك يصدر

عمله عن شهوته ولا يمنعه إيمانه عن ركوب خطيئة، فاعتقاده إنما هو خيال لا يعلو عن لفظ في مقال، ودعوى عند جدال فإذا ركن إلى هذا المعتقد فهو خادع لنفسه مخادع لربه، يظن أن علام الغيوب لا ينظر إلى ما في القلوب.

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أسباب ضعف العقل كثيرة، منها فطري كما هو حال أهل البله والعتة وهو الذي لا يكلف صاحبه ولا يلام، ومنها ما يكون من فساد التربية العقلية كما هو حال المقلدين الذين لا يستعملون عقولهم وإنما يكتفون بما عليه قومهم من الأوهام والخيالات، يزين على قلوبهم ما يكسبونه من السيئات وما يكونون عليه من التقليد والعادات ولا يعتنون بما أمر الله من تمزيق هذه الحجب وإزالة هذه السحب للوقوف على ما وراءها من مخدرات العرفان ونجوم الفرقان وشموس الإيمان، بل يكتفون بما حكى الله عنهم في قوله (إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون)^{١٥} حتى يجيء اليوم الذي يقولون فيه (ربنا إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيل).^{١٦}

(فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) بعد ما جاءهم البرهان المنير ببعثة البشير والنذير ووجدوا منه زعزعة في أنفسهم، ولكن أخذتهم العزة بالإثم فأبوا الإيمان ونفروا عن القرآن فكان شعاع النور الذي جاء به الرسول عميا في أعينهم ومرضا على مرضهم.

^{١٥} سورة الزخرف: الآية ٢٢.

^{١٦} سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فوق الأمراض السالفة لأنهم يدعون أنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يصدقون بأعمالهم ما يزعمونه فكانوا كاذبين في دعواهم، ولقد حذر القرآن من الكذب أشد التحذير، وتوعد عليه أسوأ الوعيد، وما نشأ الكذب في أمة أو قوم إلا فشت فيهم كل جريمة لأنه ينشأ من دناءة النفس وضعف الحياء والمروءة، ومن أصبح كذلك لا يترك قبيحا إلا بالعجز عنه.^{١٧}

الأسئلة

- (١) تكلم على الأقسام الأربعة التي ينقسم إليها الناس بعد بلوغ الدعوة!
- (٢) ما المراد بالكفر في قوله تعالى "إن الذين كفروا"؟
- (٣) لماذا أصبح التنذير وعدمه سواء على الذين كفروا؟
- (٤) اشرح معنى ختم الله على قلوبهم وهل يدل ذلك على أنهم مجبورون بالكفر؟
- (٥) ما سر إسناد الختم إلى الله تعالى في قوله "ختم الله"؟
- (٦) ما الغرض بتنكير كلمة "عذاب" في قوله "لهم عذاب أليم"؟
- (٧) فسر قوله تعالى "يخادعون الله"!
- (٨) ما هي مضار الكذب الشخصية والاجتماعية؟
- (٩) ما هي أسباب ضعف العقل؟ وما هي مضار التقليد؟

د. منهج التفسير المدرسي

^{١٧} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول (فونوروكو: دار السلام، ٢٠٠١)، ٢٠-٢٥.

من نتائج الدراسة تجد الباحثة المنهج التحليلي الذي استخدمه عمر في تفسير الآيات، حيث يفسر الآيات حسب ترتيبها في المصحف، ويقوم بتحليلها تحليلًا موسعًا، يبين ما يتعلق بكل آية من معاني الألفاظ و أسباب نزول الآيات و ومناسبة الآيات بآية ما قبلها وبما بعدها ونحو ذلك، أمثلة تفسير الآيات هي:

١. ذكر أسباب النزول: (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)^{١٨} روي في سبب نزول هذه الآية، أن الصحابة كانوا إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويتغشون النساء إلى وقت النوم فإذا نام أحدهم ثم استيقظ من الليل صام ولو كان في أول الليل، وروي أن أهل الكتاب كانوا يصومون كذلك وأن الصحابة فهموا من قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) إن التشبيه يتناول كيفية الصوم فوقع لبعضهم أن وقع على امرأته في الليل بعد النوم فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.^{١٩} ثم فسر عمر الآية التي تتعلق بسؤال الصحابة عن الأهلة بذكر سبب نزول الآية: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ) وقد ورد في أسباب نزول الآية أن بعضهم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأهلة مطلقًا وأن بعضهم سأل لم خلقت؟ والروايتان عند أبي حاتم، وأخرجه أبو نعيم وابن عساكر أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنبة قالا: "يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي و يستدير ثم لا يزال ينقص و يدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت الآية. قال الأستاذ الإمام- كأنه قال كان عليكم أن تسألوا عن الحكمة والفائدة

^{١٨} سورة البقرة: الآية ١٨٧.

^{١٩} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني (فونوروكو: دار السلام، د س)، ٦٩-٧٠.

في اختلاف الأهلة إن لم تكونوا تعرفونها، وإلا فعليكم الاكتفاء بها." وعدم مطالبة الشارع مما ليس من الشرع، ففي الكلام تعريض بأن سؤالهم في غير محله ولو توجه هذا السؤال ممن يتعلم علم الفلك إلى أستاذه فيه لما عد قبيحا ولا قيل أنه في غير محله فإن فيه تعريضا بأن من يسأل النبي عما لم يبعث النبي لبيانه ولا يتوقف عرفانه على الوحي فهو في طلبه الشيء من غير مطلبه كمن يطلب دخول البيت من ظهره دون بابه وبهذا التقرير يكون الاتصال بين أجزاء الآية أحكم وأقوى (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) روي البخاري وابن جرير عن البراء قال: "كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره"، فأنزل الله الآية وزعمونه براء، فبين الله البر الحقيقي بقوله (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أي أن البر هو تقوى الله تعالى بالتخلي عن المعاصي والردائل وعمل الخير والتحلي بالفضائل واتباع الحق واجتناب الباطل فأتوا البيوت من أبوابها، وليكن باطنكم عنوانا لظاهرهم بطلب الأمور كلها من مواضعها واتقوا الله رجاء أن تفلحوا في أعمالكم، وتبلغوا غاية آمالكم.^{٢٠} ويأتي تفسير الآية الأخرى بذكر سبب نزول الآية فمثاله: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)^{٢١} أخرج الواحدي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صد عن البيت ثم صالحه المشركون فرضي على أن يرجع عامة القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة

^{٢٠} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٧٢-٧٣.

^{٢١} سورة البقرة: الآية ١٩٠.

ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الحرام والشهر الحرام، ونزلت الآية. كأنه يقول: (أيها المؤمنون الذين يخافون أن يمنعكم مشركون مكة عن زيارة بيت الله الحرام والاعتماد فيه نكتنا منهم للعهد وفتنة لكم في الدين وتكرهون أن تدافعوا عن أنفسكم بقتالهم في الإحرام والشهر الحرام، إنني اذنت لكم في لقتال على أنه دفاع في سبيل الله للتمكن من عبادته في بيته وتربية لمن يفتنكم عن دينكم وينكث عهدهم. لا لحظوظ النفس وأهوائها وقتلوا في هذه السبيل الشريفة من يقاتلكم).^{٢٢}

٢. تناسب الآية بالآية ما قبلها وبما بعدها ، مما أمثلة مناسبتها فهي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ... إلخ)^{٢٣} ولما بين الله سبحانه وتعالى في الآيات السالفة أصناف الناس الأربعة، صنفان يهتديان بهداية القرآن الكريم وآخران يهتديا به فيخطبان في ليلة عشواء. خاطب الناس هنا عامة بأن يعبدوه ملاحظين معنى الربوبية والخالقية التي تشملهم ومن قبلهم من السلف فتتظمهم جميعا في سلك العبودية للخالق تعالى شأنه.

فهذا النداء الإلهي مشعر بأن نسبة الناس الأولين إلى الله تعالى كنسبة الآخرين واحدة هو الخالق وهم المخلوقون وهو المستحق للعبادة وهم المأمورون بها أجمعون. فهذه الآيات والآيات الأربع بعدها مصرحات بدعوة جميع الناس إلى دين الله تعالى الحق بيان أصوله وأسس... إلخ.^{٢٤} والآية (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ... إلخ)^{٢٥}

^{٢٢} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٧٦.

^{٢٣} سورة البقرة: الآية ٢١-٢٢.

^{٢٤} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٣٨-٣٩.

^{٢٥} سورة البقرة: الآية ٢٣-٢٥.

هذه الآية متصلة بما قبلها، فالكلام من أول السورة كحبات من الجواهر نظمت في سلك واحد، وقد ذكر الله تعالى صفات المتقين الذين يهتدون بالقرآن المبين، وبين عمي الجاحدين المعاندين، ثم ذكر فرقهم وأصنافهم، وضرب لهم الأمثال، فبعد هذا لكله تحداهم بالكتاب الذي يدعو إليه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويناضل عنه، بقوله (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا بِالْخ) ^{٢٦} مثال آخر الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا... إلخ) ^{٢٧} وهذه الآية متصلة بما قبلها ولا يخرج الكلام عن الموضوع الأصلي وهو ذالك الكتاب لا ريب فيه، وحال الناس في الإيمان به وعدمه لأن قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي بِالْخ) مبين لشأن شئون كماله عز وجل في كتابه العزيز، وقاضيا على الذين يتحامون ذكر البعوضة وأمثالها بنقص العقل وخسران ميزان الفضل، والمراد بما فوقها ما علاها وفاقها في مرتبة الصغر مثل المكروبات، فالمعنى أن الله تعالى لا يترك ضرب مثل ما من الأمثال حياء منه سواء كان بعوضة أو أصغر منها حجما أقل عند الناس شأنًا. ^{٢٨}

٣. بيان معاني الألفاظ، مثال ذالك في سورة الفاتحة الآية ١-٢ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أي أبتدأ عملي "بسم الله" ومعناه أنني أعمل بأمره وله ولاي، ولا أعمل باسمي مستقلا به على أنني سلطان أو فلان، فكأنني أقول إن هذا العمل لله لحظ نفسي فأني لا أعمل عملي إلا باسمه لأنني أستمد القوة والعناية منه وأرجو إحسانه عليه، فلو لاه لم أقدر عليه، ولم أعمله، ومثل هذا التعبير مألوف عند جميع الأمم، ومنهم العرب وهو أن الواحد منهم إذا أراد أن يفعل أمرا ما

^{٢٦} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٤٣.

^{٢٧} سورة البقرة: الآية ٢٦-٢٩.

^{٢٨} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٥٣-٥٤.

لأجل أمير أو عظيم بحيث يكون متجردا من نسبته إليه، يقول أعمل باسم فلان ويذكر ذلك الأمير أو السلطان. لأن اسم الشيء دليل وعنوان عليه، وليس معناه بأن نفتتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى بأن نذكره على سبيل التبرك أو الاستعانة بل أن نقول هذه العبارة اسم الله الرحمن الرحيم: فإنها مطلوبة لذاتها. إن لفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان، ولفظ الرحيم يدل على مصدر هذه الرحمة والإحسان، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة. وبهذا المعنى لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكدا للأول، فإذا سمع العربي وصف الله جل ثنائه بالرحمن، وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائما، لأن الفعل ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وإن كان كثيرا، فعند ما يسمع لفظ الرحيم يكمل إعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه ويعلم أن الله صفة ثابتة وهي الرحمة التي عنها يكون أثرها. من هذا المثال قد بين عمر عن معاني لفظ "باسم الله" و "الرحمن" و "الرحيم" كلها.

أمثلة أخرى من سورة الفاتحة، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^{٢٩} لفظ "الحمد لله" خبر، كأنه سبحانه وتعالى يخير أن المستحق للحمد هو الله تعالى وحده ومعناه الأمر، أى قول الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدون. فالثناء الجميل في أي أنواعه ثابت له تعالى وراجع إليه لأنه متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون، فصفاته أجل الصفات وإحسانه عم جميع الكائنات، ولأن جميع ما يصح أن يتوجه إليه الحمد مما سواه فهو منه جل ثناؤه، إذ هو مصدر الكون كله. فيكون له ذلك الحمد أولا وبالذات ثانيا، فأى حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله

^{٢٩} سورة الفاتحة: الآية ٢.

تعالى الحقيقة، سواء لاحظته الحامد أم لم يلاحظ. (رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرب بمعنى المالك كما يقول رب الدار ورب الشيء أى مالكة، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحتهم. والتربية هي إبلاغ شيء إلى كماله... الخ. ٣٠ والآية (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ٣١ أي هو صاحب ذلك اليوم الذي فيه الجزاء. والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي والقاضي بين الخلائق ويوفي حينئذ كل فرد جزاءه كاملا لا يظلم شيئا منه كما قال الله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره). ٣٢

٤. بيان عن إعجاز القرآن، مثال ذلك: بعد أن أوضح عمر كيف كان حال المنافقين رافضون بأن القرآن وحي إلهي من الله تعالى، أمرهم الله أن يصنعوا سورة من مثله، أليس في عصرهم أرقى عصور الفصاحة؟ ولكنهم لم يقدر في صناعه، فقال الله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ). بين عمر في تفسيره عن إعجاز القرآن بعد فسر الآية ٢٣-٢٤: وقال إعجاز القرآن بغاية الاختصار: إعجاز القرآن قد ثبت بالفعل، وتواتر فيه النقل، وحسبك وجود ما لا يحصي من المصاحف في جميع الأقطار ووجود الألوف من حفاظه في مشارق الأرض ومغاربها وهي تحكى لنا هذه الآيات في التحدي بإعجازه ولو وجد له معارض أتى بسورة مثله لتوفرت الدواعي على نقلها بالتواتر فثبت أنه كتاب أحكمت آياته، فيه آيات بينات ودلائل واضحة وأخبار صادقة، ومواعظ راقية وشرائع عالية، وآداب جليلة، وقوانين عادلة، وأحكام موافقة لكل زمن ومكان بعبارات تأخذ بالألباب، فهو

٣٠ عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٣.

٣١ سورة الفاتحة: الآية ٤.

٣٢ سورة الزلزلة: الآية ٧-٨. وانظر عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٥.

آية الله الدائمة وحجته الخالدة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أولاً: إعجاز من جهة ألفاظه وأساليبه، ثم ثانياً: من جهة أغراضه ومقاصده. تجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلال، ونهاية في الإصابة، فمن تشريع خالد، وتهذيب بارع، وتعليم جامع، وأدب بالغ وإرشاد شامل، وقصص واعظ إلى حكمة بالغة ووعد ووعد وأخبار غيب. كان القرآن يشمل على: (١) الأخبار بالغيب من ماض كقصص الرسل مع أقوامهم من حاضر في عصر تنزيله كقوله (غلبت الروم، في أدنى وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين)^{٣٣} وقد ظهر صدق هذا الخبر. (٢) العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمن والصالحة لكل مكان. (٣) بيان كثير من آيات الله في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ويصف خلق السموات وشمسها وقمرها، والأرض والهواء، والسحاب والماء من بحار وأنهار وعيون ونباتات، وفيه تفصيل كثير من أخبار الأمم وبيان لطريق التشريع السوي العام، وقد حفظ ذلك كله فيه بكلمه وحروفه منذ ١٣ قرناً ونيف إلى الآن ثم عجزت هذه القرون التي ارتقت فيه العلوم والفنون أن تنقض بناء آية من آياته. (٤) تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق.^{٣٤}

^{٣٣} سورة الروم: الآية ٢-٣.

^{٣٤} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٤٥-٤٧.

٥. وقد فسر عمر الآية التي تتعلق بآيات العقائد (التوحيد والنبوة والكتاب) و أحكام الشريعة و الحياة الاجتماعية و ذكر بعض أخبار الأمم السالفة، و أيضا قد يذكر عمر عن العبرة أو الحكمة من الآيات المفسرة، مثل بيان العبرة عن قصة موسى عليه السلام و حكمة الحج و حكمة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. وقد يتكلم أيضا عن مضار الخمر للجسمية والخلقية، ومضاره المالية و مضاره في الدين وغير ذلك، وهكذا.^{٣٥}

بينما نظر إلى مصادر التفسير، إعتد عمر تفسير الآيات على المصادر الآتية:

١. **تفسير القرآن بالقرآن**، المثال: قد فسر عمر الآية (إن الله لا يستحي أن يضرب الله مثلا ما بعوضة فما فوقها)^{٣٦} المراد أن الله تعالى لا يترك ضرب مثل ما من الأمثال حياء منه سواء كان بعوضة أو أصغر منها حجما أو أقل عند الناس شأنًا. وعلى هذا مبين لشأن من شئون كماله عز وجل. ثم بين عمر أن الناس كانوا في ذلك المثل فريقين، الفرقة الأولى هم الذين يصدقون بذلك، وأما الفرقة الثانية هم الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين ويمارون بالبرهان وقد تعين، ولو انصفوا لعرفوا لكنهم ارتابوا في الحق فانصرفوا، فزاد عمر في تفسيره (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا).^{٣٧} (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثير ويهدي به كثيرا) أي يضل بالمثل أولئك الذين يجعلونه شبهة على الإنكار والريب، ويهدي به الذين يقدرון الأشياء بغايتها (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون). و قد

^{٣٥} انظر تفسير على الآيات بالتفصيل إلى التفسير المدرسي، الجزء الأول والجزء الثاني.

^{٣٦} سورة البقرة: الآية ٢٦.

^{٣٧} سورة الكهف: الآية ٥٤.

جاء تفسير آخر: (ذاك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)^{٣٨} وقد فسر عمر أن المراد بالكتاب هو كتاب معروف معهود وكان كتابا كاملا ضامنا للطلاب الحق بالهداية والإرشاد في جميع شؤون المعاش والمعاد. ثم بين أن الكتاب هدى للمتقين، وفسر أن المتقي من يحمي نفسه من العقاب الدنيوي والأخروي، ولا بد أن يكون له معرفة تامة بأسباب العقاب فيتقيها. وذكر أن العقاب الدنيوي يتقي بالعلم بسنن الله تعالى في هذا العالم مثل سنن الاجتماع البشري فاتقاء الفشل في القتال مثلا يحتاج إلى معرفة نظام الحرب وفنونها وإتقان آلاتها وأسلحتها كما هو المشار إليه في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)^{٣٩}.

٢. تفسير القرآن بالسنة النبوية، المثال: قد فسر عمر الآية ١٥٦ ونقل الحديث رواه الشيخان من حديث أنس (الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة وإنما المراد التلبس بمعناها والتحقق في الإيمان بأنهم من الله وإلى الله يرجعون فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر إيماناً وتسليماً بحيث لا يملك الجزع نفوسهم ولا تقعد المصائب همهم بل تزيدهم ثباتاً ومثابرة فيكونون هم الفائزون.

^{٣٨} سورة البقرة: الآية ٢.

^{٣٩} سورة الأنفال: الآية ٦٠.

ولا ينافي الصبر والثبات من حزن الإنسان عند حلول المصيبة بل ذلك من الرحمة ورقة القلب، ولو فقد الإنسان هذه الرحمة لكان قاسيا لا يرجى خيره ولا يؤمن شره وإنما الجزع المذموم الذي يحمل صاحبه على ترك الأعمال المشروعة لأجل المصيبة والأخذ بعادات وأعمال مذمومة ضارة ينهي عنها الشارع ويستقبحها العقل كما نشاهد من كثير من الناس في المصائب والنوائب وقد ورد في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى عندما حضر ولده إبراهيم عليه السلام الموت وقيل له: "أليس قد نهيتنا عن ذلك؟ فأخبر أنها الرحمة وقال- إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وأنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.^{٤٠} وقد جاء بيان سبب النزول الآية عن تحريم الخمر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)^{٤١} روي أحمد من حديث أبي هريرة قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله عنهما فأُنزل الله هذه الآية فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال إثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأُنزل الله الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم نزلت أية أغلظ من ذلك (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان - إلى قوله -) فهل أنتم منتهون)^{٤٢} قالوا انتهينا. فظهر من ذلك أن القطع بتحريم الخمر والنهي عنها كان بعد تمهيد بالذم والنهي عن السكر في حال قرب الصلاة وأوقات الصلوات متقاربة فمن ينهى

^{٤٠} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٥-١٦.

^{٤١} سورة البقرة: الآية ٢١٩.

^{٤٢} سورة المائدة: الآية ٩٠-٩١.

عن قرب الصلاة وهو سكران فلا بد أن يتجنب السكر في أكثر الأوقات لئلا تحضره الصلاة وهو سكران، وفي هذا من الحكمة في التدريج بالتكليف ما لا يخفى، لأنهم قد ألفوا شرب الخمر، فكان نهيه عن دفعة واحدة يجلب مشقة عظيمة. أخرج أبو داود: "نزل تحريم الخمر يوم نزل وهو من خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة، والخمر ما خامر العقل، وكأن هذا كل ما كان يعرف ولا شك أن غيره مثله وكذلك الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك ومنها حديث الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي - "كل مسكر خمر" وروي بزيادة (وكل خمر حرام)، أما الميسر فهو القمار هو كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً سواء كان بالورق أو غيره، ولا خلاف في أن كل قمار محرم قطعاً.^{٤٣}

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة، مثال ذلك: (الحمد لله رب العالمين)^{٤٤} وقد فسر عمر معنى لفظ "الحمد لله" خبر كأنه سبحانه وتعالى يخير أن المستحق للحمد هو الله تعالى وحده ومعناه الأمر، ثم ذكر عن معنى "رب العالمين"، وقال أن الرب بمعنى المالك كما بقول رب الدار ورب الشيء أى مالكة، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم. ومعنى "العالمين" جمع عالم وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى، فيدخل فيه جميع الكائنات فيقال عالم الإنسان وعالم الحيوان والنبات، زاد عمر

^{٤٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١١٧-١١٨.

^{٤٤} سورة الفاتحة: الآية ٢.

بقول ابن عباس هم الجن والإنس.^{٤٥} ثم في الآية (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)^{٤٦} بعد ما عرف الله الملائكة بمكانة آدم ووجه جعله خليفة في الأرض أمرهم أن يخضعوا له، وعبر ذلك بالسجود وهو سجود لا نعرف صفته، ولكن أصول الدين تعلمنا أنه ليس سجود عبادة إذ لا يعبد إلا الله. ويروى عن ابن عباس أنه "سجدة التحية"^{٤٧}

فإذا تأملنا إلى بعض الأمثلة السابقة وجدنا أن عمر قد فسر كل أية من آيات القرآن بالتفسير التحليلي، حيث يفسر كل أية حسب ترتيبها في المصحف بذكر سبب نزول الآية و مناسبة الآية بأية ما قبلها ثم بيان معاني الألفاظ وإعجاز القرآن. فسر عمر الآيات كلها و بين حكمتها الشرعية و بين وظيفة القرآن باعتباره دليلا لجميع الناس في كل زمان ومكان. الغرض منها ليتمكنوا من العيش في هذه الحياة تحت توجيه القرآن. وأما مصادر التي يستخدمها في تفسير الآيات هي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، بالإضافة إلى ذلك فإن عمر ينتقد بشدة على أقوال الصحابة ويرفض الإسرائيليات.

^{٤٥} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٣-٤.

^{٤٦} سورة البقرة: الآية ٣٤.

^{٤٧} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٦٥.

فيما يتعلق بالبحث عن مصادر التفسير من الكتب التفاسير المتنوعة وجدت الباحثة المصادر التي يرجع إليها عمر ويقتبس منها في كتابة التفسير المدرسي من الكتب التفاسير المتنوعة منها:

تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، و تفسير المنار للإمام محمد عبده و محمد رشيد رضا، و تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي، و تفسير القرطبي، و تفسير الكشاف للزمخشاري، و تفسير ابن عباس.

هـ. اتجاهات التفسير المدرسي

أما اتجاهات التفسير في كتاب التفسير المدرسي منها لم يكن:

١. الاتجاه الأثري

إذا نظرنا إلى التفسير المدرسي فوجدنا فيه الإتجاه الأثري حيث يفسر الحاج عمر بكري القرآن بالقرآن والسنة النبوية، و أقوال الصحابة. ومن أمثلة تفسيره كما يلي:

تفسير القرآن بالقرآن: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠٧) ^{٤٨} ذكر الله هذا الفريق المقابل لمن يقول ما ليس في قلبه ولا يعمل ما يقول فهذا الفريق يبيع نفسه لله لا ينبغي ثمنها لها غير مرضاته لا يتحرى إلا العمل الصالح وقول الحق مع الإخلاص في القلب فلا يتكلم بلسانين ولا يقابل الناس بوجهين، ولا يؤثر على ما عند الله عرض الحياة الدنيا، ذكر الله هذا

^{٤٨} سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

الشراء في آيات أخرى تشرح هذه الآية وتفسيرها وتبين أن المؤمنين باعوا وأن الله قد اشترى كقوله عز وجل: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) — إلى قوله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)^{٤٩} ثم تفسير الآية الأخرى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)^{٥٠} الاستفهام هنا للإنكار وينظرون بمعنى ينتظرون وهي كثيرة الاستعمال بهذا المعنى في الكتاب العزيز لاسيما في أمور الآخرة كقوله تعالى (فهل ينظرون إلا أن الساعة أن تأتيهم بغتة) وإتيان الله هنا بمعنى إتيان أمره وما وعد به من العذاب.^{٥١} وقد جاء تفسير آخر أيضا مثل: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)^{٥٢} ذهب الأكثرون إلى أن المراد بالمشركات مشركات العرب الاتي لا كتاب لهن لأن هذا هو عرف القرآن في لقب المشرك. قال تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين) وقوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركات منفكين حتى تأتيهم البينة) والعطف يقتضي المغايرة أما الكتابيات فقد جاء في سورة المائدة أنهن حل لنا وسكت هناك عن تزويج الكتابي بالمسلمة وقالوا إنه على أصل المنع وأيدوه بالسنة والإجماع ... إلخ.^{٥٣} وقد جاء تفسير آخر: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) إلى أية (ولهن مثل الي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) هذه الجملة القصيرة ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا

^{٤٩} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٩٧.

^{٥٠} سورة البقرة: الآية ٢١٠.

^{٥١} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٠٢.

^{٥٢} سورة البقرة: ٢٢١.

^{٥٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٢٦.

أمرا واحدا عبر عنه بقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).^{٥٤}

تفسير القرآن بالسنة النبوية: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَنَّ)^{٥٥} المعنى يجب على الرجال ترك غشيان نساءهم زمن الحيض، لأن غشيانهم سبب للأذى والضرر وإذا سلم الرجل من هذا الضرر فلا تكاد تسلم منه المرأة لأن الغشيان يزعج أعضاء النسل فيها إلى ما ليست مستعدة له ولا قادرة عليه لاشتغالها بوظيفة طبيعية أخرى وهي إفراز الدم المعروف. وقد جاء هذا لحكم وسطا بين إفراط الغلاة الذين يعدون المرأة الحائض وكل من يمسه أو يمس ثيابها أو فراشها من النجاسات وتفريط المتساهلين الذين يستحلون ملابسها في الحيض على ما فيه من الأذى والدنس، وعن انس بن مالك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز و جل الآية فقال رسول الله عليه وسلم " اصنعوا كل شيء إلا الجماع" فسر عمر هذه الآية ونقل فيها الحديث رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن.^{٥٦} ثم مثال آخر: (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^{٥٧} فالإيلاء من المرأة أن يحلف الرجل أنه لا يقربها وهو مما يكون من الرجل عند المغاضبة والغیظ وفيه امتهان للمرأة وهضم لحقها وإظهار لعدم المبالاة بها. فترك المقاربة الخاصة المعلومة ضررا معصية، والحلف عليه حلف على مالا يرضى الله

^{٥٤} سورة النساء: ٣٤. ١٣٧.

^{٥٥} سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

^{٥٦} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٢٧-١٢٨.

^{٥٧} سورة البقرة: الآية ٢٢٦.

به لما فيه من ترك التواد والتراحم بين الزوجين وما يترتب على ذلك من المفاسد في أنفسهما وفي عيالهما وأقاربهما، ووجب على المؤلي أن ينحث ويكفر عن يمينه لقوله صلى الله عليه وسلم "من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتى الذي هو خير وليكفر"، وقوله صلى الله عليه وسلم "من حلف على يمينه قطعية رحم أو معصية فبره أن ينحث فيها ويرجع عن يمينه". ولكن إذا لم يفعل هذا الواجب لم يكن آثما في نفسه فقط بل يكون بإثمه هاضما لحق امرأته ولذلك أنزل الله فيه هذا الحكم وهو التريص مدة أربعة أشهر، فإن رجعوا إلى نسائهم بأن حنثوا في اليمين وقاربوهن في أثناء هذه المدة أو آخرها فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما سبق برحمته الواسعة لأن الفيئة توبة في حقهم.^{٥٨}

تفسير الآية بأقوال الصحابة ونقل عمر فيها قول ابن عباس: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) إلى أية (ولهن مثل الي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) هذه الجملة القصيرة ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله تعالى (ولللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)-النساء : ٣٤. فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه: "إنني لأتزين لامرأتي تتزين لي لهذه الآية" ... الخ.^{٥٩}

^{٥٨} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٣٤-١٣٥.

^{٥٩} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٣٧.

٢. الاتجاه الكلامي

الاتجاه الكلامي هو الذي يهتم به عمر بكري في تفسير القرآن بمعارف القرآن وآياته الاعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرهما وتأيد ذلك بالأدلة العقلية والعقلية. ومن أكثر ما يهتم به عمر في الاتجاه الكلامي هو الاهتمام بآيات العقائد (التوحيد والنبوة والكتاب وغير ذلك).

مثال الأول: الآية التي تتعلق بخصائص الربوبية التي تقتضي الاختصاص بالعبودية، (يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^{٦٠} خاطب الناس هنا عامة بأن يعبدوه ملاحظين معنى الربوبية والخالقية التي تشملهم ومن قبلهم من السلف فتتظمهم جميعا في سلك العبودية للخالق تعالى شأنه. فهذا النداء الإلهي مشعر بأن نسبة الناس الأولين إلى الله تعالى كنسبة الآخرين واحدة هو الخالق وهم المخلوقين وهو المستحق للعبادة وهم المأمورون بها أجمعون. فهذه الآيات والآيات الأربع بعدها مصرحات بدعوة جميع الناس إلى دين الله تعالى الحق ببيان أصوله وأسس. (١) توحيد الألوهية بعبادة الله تعالى وحده مع ملاحظة توحيد الربوبية. (٢) القرآن آياته الكبرى ودينه التفصيلي. (٣) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المرسل بهذا القرآن. (٤) الجزاء في الآخرة على الكفر بالنار، وعلى الإيمان وأعماله بالجنة... الخ. (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)^{٦١} هذه هي خصائص الربوبية التي تقتضي الاختصاص بالعبودية هو الذي جعل لكم الأرض فراشا بما مهدها وجعلها صالحة للافتراش والإقامة عليها والارتفاق بها والسماء بناء متمسكا لكيلا تقع على

^{٦٠} سورة البقرة: الآية ٢١.

^{٦١} سورة البقرة: ٢٢.

الأرض فتسحقكم. السماء مجموع ما فوقنا من العالم، والبناء وضع شيء على شيء بحيث يتكون من ذلك شيء بصورة مخصوصة، وقد كون الله السماء بنظام البناء وسوى أجرامها على هذه المشاهدة وامسكها بسنة الجاذبية، فلا تقع على الأرض، ولا يصطدم بعضها ببعض، إلا إذا جاء يوم الوعيد، وبطل نظام هذا العالم في خلق جديد، والواجب ملا حظته في هذا المقام هو تصور قدرة الله تعالى وعظمته وسعة فضله ورحمته، أي هو القادر على جلائل الفعال العظيم الذي يستحق العبادة والاحلال، المنعم بجميع النعم، الجدير بأعلى مراتب الشكر (وأُنزل من السماء ماء إلخ) بعد أن أمتن الله بنعمة الإيجاد ونعمة الفراش والمهاد، ونعمة السماء التي هي كالبناء، ذكر هنا نعمة الإمداد الذي تحفظ به هذه الأجساد، وهي الماء الذي به النمو والبقاء — الثمرات ما يحصل من النباتات — إنزال المطر وتغذية النبات به ليس للزراع والغارس كسب وإنما ذلك بيد الله القدير، فعلينا أن نتفكر في ذلك لترداد تعظيما له وإجلالا، فلا نعبد معه أحدا. "فلا تجعلوا لله أندادا" من سلفكم المخلوقين مثلكم تطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله سبحانه وتعالى، وهو كل ما تعجزون عنه، ولا يصل كسبكم إليه فلا تفعلوا ذلك إنهم في الخلق والعبودية مثلكم. وقد عرفنا أن العبد عبد فلا يعبد، والرب رب فلا يشرك به، فلا ينبغي لنا أن نجعل من كان مثلنا في الخلق والعبودية أندادا لله. "وأنتم تعلمون" أي والحال أنكم تعلمون أنه لا ند له لأنكم إذا سئلتهم من خلقكم وخلق من قبلكم؟ تقولون الله وإذا سئلتهم من يرزقكم من السماء والأرض ومن يدبر الأمر؟ تقولون الله فعليكم أن لا تعبدوا إلا إياه مخلصين له الدين، ولا تشركوا به أحدا من العالمين.^{٦٢}

^{٦٢} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٣٨-٤١.

مثال الثاني: الآية التي تتعلق بالنبوة والكتاب (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ^{٦٣} أي يتم نعمته عليكم بإرساله رسولا منكم، فالقابلة في بلادكم والرسول من أمتكم ثم وصف هذا الرسول بالأوصاف التي كان بها نعمة تامة ورحمة شاملة فقال (يتلو عليكم آياتنا) الدالة على أن مجاء به من التوحيد والهداية هو الحق من عند الله (والآيات تتعلق بإثبات العقائد وأصول الدين وهي المقصد الأول ويليهما تهذيب الأخلاق) ولذلك قال (ويزكيكم) أي يطهركم نفوسكم من الأخلاق السافلة والرزائل الممقوتة ويخلقها بالأخلاق الحميدة بما لكم فيه من حسن الأسوة لا بالقهر والسطوة (ويعلمكم الكتاب والحكمة) أي الكتاب الإلهي أو الكتابة التي تخرجون بها من ظلمة الأمية والجهل إلى نور العلم والحضارة. وأما الحكمة فهي العلم المقترن بأسرار الأحكام ومنافعها الباعث على العمل. قدم ذكر التزكية هنا على التعليم لأن أول شيء فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو أن دعا الناس إلى الإيمان بما تلا عليهم من آيات الله ودلائل توحيده وإلى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لا ريب فيه- يحاسب فيه كل نفس بما تسعى- فأجاب الناس دعوته بالتدريج وكل من انضم إليه يقتدي إليه في أخلاقه وأعماله. ولم تكن هنالك أحكام ولا شرائع ثم شرعت الأحكام بالتدريج (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي مالا طريق لكم إلى معرفته بالنظر والفكر وهو مالا يعلم إلا من الوحي كإخبار عالم الغيب وسيرة الأنبياء وأحوال الأمم التي كانت مجهولة عندكم. ^{٦٤}

^{٦٣} سورة البقرة: الآية ١٥١.

^{٦٤} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٩-١٠.

وقد جاء تفسير الآية التي تتعلق بتوحيد الله تعالى أنه إله واحد لا إله إلا هو (وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)^{٦٥} أي فلا تشركوا به أحدا. والشرك به نوعان أحدهما يتعلق بالألوهية وهو أن يعتقد المرء أن في الخلق من يشاركه تعالى أو يعينه في أفعاله أو يحمله عليها أو يصد عنه وثانيتهما يتعلق بالربوبية وهو أن تؤخذ أحكام الدين وعبادة الله والتحليل والتحريم عن غيره أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله بحجة أن من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي أعلم بمراد الله فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)، وظاهر أن الواجب على العلماء بالدين أن يبينوا ما نزل الله للناس ولا يكتفونه ولا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه. (الرحمن الرحيم) فلا ينبغي أن يعرض العبد عن أسباب رحمته اعتمادا على رحمة سواه ممن يظن أنهم مقربون عنده، فحسب المؤمنين من رحمة الله التي وسعت كل شيء أن يستغني بالتصدي لها عن رجاء سواها وإلا كان من الخائبين.^{٦٦}

وقد اهتم عمر تفسير الآية التي تتعلق الآيات المتشابهة، ثم قال أن فيها طريقة السلف والخلف في حلها.

الأولى، طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وتفويض الأمر إلى الله في فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضموم كلامه ما نستفيد به في اختلافنا وأعمالنا وأحوالنا. والثانية، طريقة الخلف وهي التأويل يقولون إن قواعد الدين الإسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن

^{٦٥} سورة البقرة: الآية ١٦٣.

^{٦٦} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٢٤.

المعقول، فإذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القطعي القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه، فينبغي طلبه بالتأويل، فقالوا مثلاً يد الله بمعنى قدرة الله.

وفي هذا الأمر عمر تفسير الآية التي تتعلق بآيات المتشابهة باتباع طريقة السلف، مثل أية الأولى من سورة البقرة فيها أحرف المقاطعة لم يفسرها عمر بل بل يشرح عن حكمة إفتتاح السورة بأسماء الحروف: "الم" هو وأمثاله أسماء السور التي تبدأ به وهذه الأحرف تقرأ مقطعة فتقول-ألف-لام-ميم: ساكنة الأواخر. وحكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء الحروف التي ليس لها معنى مفهوم غير تلك الحروف يتركب منها الكلام، هي تنبيه السامع إلى ما سيلقي إليه بعد هذا الصوت العجيب من وصف القرآن وغيره.^{٦٧} وكذلك متى فسر عن عالم الغيب كالجنة والنار وقال "نؤمن بهما ولا نبحت في حقيقة أمرهما ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئاً لأن عالم الغيب لا يجري فيه القياس"^{٦٨} وكذلك من الآيات المتشابهة كقصة آدم عليه السلام وغيرها.

٣. الاتجاه الاجتماعي

كما ذكرنا ماضياً أن صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي يركز على مجتمعات المسلمين، ويحرص على إصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن، ويعالج أمراض ومشكلات

^{٦٧} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٦٢-٦٣.

^{٦٨} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٥٠.

المجتمع المختلفة، ويقدم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها. ومن الأمثلة الآيات التي تتعلق بهذا الاتجاه في التفسير المدرسي كما يلي:

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ^{٦٩} الكلام لا يزال في سرد الأحكام العملية لما فرغ من بيان حكم الصوم وفيه حكم أكل الناس مال نفسه بين هنا حكم أكل مال غيره بذكر الحدود العامة. وكان الخطاب لعامة المكلفين، والمراد لا يأكل بعضكم مال بعض، واختار لفظ أموالكم وهو يصدق بأكل الإنسان مال نفسه للإشعار بوحدة الأمة وتكافلها والتنبيه إلى أن احترام مال غيره وهو عين الاحترام والحفظ لماله. والمراد بالأكل مطلق الأخذ والتعبير عن الأخذ بالأكل معروف في اللغة تجوزا فيه قبل نزول القرآن ومنشؤه أن الأكل أعم الحاجة من المال وأكثرها. أما الباطل فهو مالم يكن في مقابلة شيء حقيقي وهو من البطل والبطلان. فقد حرمت الشريعة اخذ المال بدون مقابلة حقيقية يعتديها (وتدلو بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) إن الاستعانة بالحكام على أكل المال بالباطل محرم لأن الحكم لا يغير الحق في نفسه ولا يحله للمحكوم له به، قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار. ^{٧٠} وفي الآية والحديث عبرة لوكلاء الدعاوى الذين يدعون بالمحامين فلا يجوز لمن يؤمن منهم بالله واليوم الآخر أن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ولا أن يستمر في محاولة

^{٦٩} سورة البقرة: الآية ١٨٨.

^{٧٠} رواه الجماعة أي الإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن.

إثباتها إذا ظهر له بطلانه في أثناء التقاضي.^{٧١} ثم مثال الآخر: (وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^{٧٢} ولما كان القتال يتوقف على بذل المال، أمر الله المسلمين بالإِنفاق فيه وسبيل الله هو طريق الخير والبر والدفاع عن الحق، وحذرهم أن الإمساك عن الإنفاق في الاستعداد للقتال بمثابة إلقاء الأنفاس إلى التهلكة لأن ذلك يضعف القوة ويمكن الأعداء من التغلب علينا، ويدخل في النهي التطوع في الحرب بغير علم بالطرق الحربية التي يعرفها العدو، وفسر الجلال سبيل الله طاعته والجهاد وغيره والتهلكة بالإمساك عن النفقة في الجهاد وتركه لأنه يقوى العدو عليكم (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) أي أحسنوا النفقة وتدير القتال وغيره فالأمر بالإحسان على عمومه أي أحسنوا كل أعمالكم وأحكمواها.

وجملة القول في القتال أنه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها، وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم كله كان مدفعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق، ولذلك كان تقديم الدعوة شرط لجواز القتال وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) -البقرة ١٥٦- وإنما يجوز القتال إذا منعنا من الدعوة بالقوة بأن هدد الداعي أو قتل، فنقاتل لحماية الدعوة ونشر الدعوة لا للإكراه على الدين. فالله لم يأذن لنا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح، ولقد كانت حروب الصحابة لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان. فالروم يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت في حوزة

^{٧١} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٧١-٧٢.

^{٧٢} سورة البقرة: الآية ١٩٠.

الإسلام ويؤذون من يظفرون به من المسلمين، وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورفضوا دعوته وهددوا رسوله.

ومما تقدم بطل ما يهدي به أعداء الإسلام من زعمهم أن الإسلام قام بالسيف وقول الجاهلين والمتعصمين إنه ليس ديناً إلهياً، لأن الإله الرحيم لا يأمر بسفك الدماء، فكل ذلك بهتان عظيم، والإسلام هو الرحمة العامة للعالمين. وأنه أساس الأمن والسلام في العام.^{٧٣}

وجاء تفسير الآية الأخرى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^{٧٤} وقد اختلف المفسرون في تفسير واحدة الأمة وذهبوا فيه مذاهب عدة بعضهم قال كان الناس أمة واحدة في الضلال، والآخر قال كان الناس أمة واحدة من حيث الفطرة السليمة، ونورد هنا ما فسره الأستاذ الإمام في معنى وحدة الأمة لأنه أظهر وأوضح في تفسير تلك الآية.

خلق الله الإنسان أمة واحدة أي مرتبطاً ببعضه ببعض في المعاش لا يسهل على أفرادها أن يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلى الأجل الذي قدره الله لهم إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضاً ولا يمكن أن يستغنى بعضهم عن بعض، فكل واحد منهم يعيش ويحيى بشيء من عمله لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيقه جميع ما يحتاج إليه فلا بد من انضمام قوي الآخرين إلى قوته فيستعين بهم في بعض شأنه كما يستعينون به في بعض شأنهم وهذا الذي يعبرون عنه بقولهم - "إن

^{٧٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٧٩-٨٠.

^{٧٤} سورة البقرة: الآية ٢١٣.

الأنسان مدني بالطبع" - يريدون بذلك أنه لم يوهب من القوى ما يكفي للوصول إلى جميع حاجته. بل قدر له أت تكون منزلة أفراده من الجماعة منزلة العضو من البدن لا يقوم البدن إلا بعمل الأعضاء كما لا تؤدي الأعضاء وظائفها إلا بسلامة البدن. فلما كان الناس أمة واحدة ولا يمكن أن يكونوا بمقتضى فطرهم إلا كذلك وهم إنما يعملون بمقتضى آرائهم وينحون في أعمالهم نحو المنافع التي يرونها لازمة لقوام معيشتهم زلم يمنحوا من قوة الإلهام ما يعرف كلا منهم وجه المصلحة في حفظ حق غيره لتوفير المنفعة بذلك لنفسه، لما كانوا كذلك كان لابد لهم من الاختلاف وكان من رحمة الله بهم أن يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرونهم بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا لزم كل واحد منهم ما حدد له واكتفى بماله من الحق ولم تعتد على حق غيره وينذرونهم بخيبة الأمل وحبوط العمل وعذاب الآخرة إذا اتبعوا شهوتهم الحاضرة ولم ينظروا في العاقبة.

(وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الضمير يعود إلى الكتاب أي الحكم مسند إليه فالكتاب ذاته هو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، فإن الكتاب نفسه هو الحاكم وليس الحاكم في الحقيقة سواه. ولو ساغ للناس أن يؤولوا نصا من نصوص الكتاب على حسب ما نتزع إليه عقولهم بدون رجوع إلى بقية النصوص لما كان لا يزال الكتاب فائدة. ويجوز عود الضمير على الله أي أنزل الله معهم الكتاب بالحق ليحكم سبحانه وتعالى بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما الحكم إلا الله، لا آراء البشر وظنونهم (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) وقد ظهر مما تقدم أن الناس بحكم اشتراكهم في الأعمال وضرورة اشتباكهم في المعاملات عرضة للاختلاف في الحق لأن عقولهم وحدها ليست كافية في الهداية على الوجه الي يحفظ جامعتهم من الاضطراب. ويؤدي بهم إلى السعادة العظمى في المآب،

فالضمير في قوله تعالى (وما اختلفوا فيه) يعود إلى الكتاب، وهو استدراك على ما عساه يقال إذا كان الناس في جامعهم مستعدين للتخالف بمقتضى فطرتهم إذا تركت وحدها ولا غنى لهم عن هداية تعليمية تأتيهم من الله تعالى. ولهذا بعث الأنبياء ليكونوا قوادا للفطرة إلى ما هو خير الدنيا والآخرة. فما بال الناس بعد إنزال الكتب لا يزالون مختلفين ولا يرتفع من بينهم الخلاف، استدراك الله هذا الظن وبين وجه الخطأ فيه بقوله (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات) وفي آيات أخرى ان اختلافهم من بعد ما جاءهم العلم. البينات هي الدلائل القائمة على عصمة الكتب من وصمة إثارة الخلاف وعلى أنه ما جاء إلا لإسعاد الناس والتوفيق بينهم لا لإشقاءهم وتمزيق شملهم، فعلى الناس أن يستعملوا عقولهم في فهم تلك البينات والدلائل على الرسالة والعصمة أولا. وسطوع الأدلة يحمل المستعدين منهم على التصديق حتما. فإذا عقلوا ما جاءتهم به الرسل وجب عليهم أن يقوموا عليه. ولا يحيدون يمنة ولا يسرة (فهد الله الذين آمنوا الخ) الإذن هنا التيسير والتوفيق والذين آمنوا هم أهل الإيمان الصادق في كل دين أو هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى كل فالله جل شأنه يخبرنا وهو أصدق القائلين بأن المؤمنين هم المهتدون لما اختلف الناس فيه من الحق أي يصلون إلى الحق الذي تختلف مزاعم الناس فيه، فيزعم كل واحد أنه عليه.

الإيمان الصحيح له نور يسطع في العقول فيهديها في ظلمات الشبه ويضيئ لها السبيل إلى الحق الذي لا يخالطه باطل. الإيمان الصحيح لا يسمح لصاحبه أن يأخذ بأمر قبل أن يتبصر فيه ويمحص الدليل على أنه نافع له في دينه أو دنياه، ولا يدع أمرا حتى يشهد عنده البرهان أو العيان بأنه ليس مما يجب عليه أن يأتيه بحكم إيمانه، بهذا يكون تيسير الله له الهداية إلى الحق

الذي يختلف فيه الناس فهو مطمئن ساكن القلب، وهم في اضطراب وحرب، تولوا عن هداية الله فحرموا توفيقه، وكفروا بنعمة العقل والدين فعوقبوا عليها بفشو الشر وفساد الأمر والله لا يصلح عمل المفسدين، ولا فساد أعظم من الاختلاف في الدين.

٤. الاتجاه الفقهي

الاتجاه الفقهي هو الذي يتناول آيات الأحكام في القرآن ويستخرج منها الأدلة الفقهية ويوضحها لصالح مذهب فقهي معين. ومن الأمثلة التي تتعلق بهذا الاتجاه هي : الآية ٢٢٨ : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) لما بين الله في الآية السابقة أن للمؤلين من نسائهم حالين الفئدة بالرجوع إلى معاشرتهم وعزم الطلاق وإمضاءه، ناسب أن يذكر هنا شيئاً من أحكام الطلاق معطوفاً على ما قبله متمماً له، المراد بالمطلقات الأزواج اللواتي تحقق فيهن معنى الزوجية، ومعنى التربص مدة ثلاثة قروء هو أن لا تتزوج المطلقة حتى يمر عليها ثلاثة قروء، وهي جمع قرء بضم القاف وفتحها، ويطلق في اللغة على حيض المرأة وعلى طهرها منه. فالمالكية والشافعية على أن القرء هو الطهر، والحنفية والحنابلة على أن القرء هو الحيض، قال الأستاذ الإمام والخطب في الخلاف سهل لأن المقصود من هذا التربص العلم ببراءة الرحم من الزوج السابق وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاثة أطهر، ومن النادر أن يستمر الحيض إلى آخر الحمل، فكل من القولين موافق لحكمة الشرع في المسألة.^{٧٥} و الآية الأخرى مثل : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)^{٧٦} إن السعي بين

^{٧٥} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٣٦.

^{٧٦} سورة البقرة: الآية ١٥٨.

الصفاء والمرورة مطلوب بقوله تعالى (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) حج البيت للنسك والاعتماد مناسك العمرة ليس في العمرة وقوف بعرفة ولا مبيت بمزدلفة ولا رمي بمنى والجناح الميل إلى الأثم وها التطوف هو الذي عرف في الاصطلاح بالسعي بين الصفا والمرورة وفسرته السنة بالعمل وإذا كان مشروعاً فسواء كان ركناً كما يقول الأئمة الثلاثة أو واجباً كما يقول الحنفية وقوله عز وجل (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) لا ينافي الطلب جزماً وكذلك قوله تعالى (فمن تطوع خيراً) فإن معنى التطوع في أصل اللغة الإتيان بما في الطوع أو بالطاعة (وإطلاق على الندب اصطلاح للفقهاء) وقوله تعالى (فإن الله شاكراً عليم) معناه فإن الله يثيبه لأنه شاكراً يجزي على الإحسان، عليم بمن يستحق الجزاء ومن لا يستحقه فهو قادر على إثابة المحسنين وإنه لا يضع أجر العالمين.^{٧٧}

من هاتين آيتين توجد فيها الاتجاه الفقهي، حيث يفسر عمر الآيات التي تتعلق بأحكام الشريعة يعتمد تفسير الآيات على الآراء من أربعة مذاهب وغيرهم. ومن ناحية أخرى كانت الآيات تتجه باتجاه الفقهي أيضاً مثل الآيات التي تبحث فيها عن الأمر بالصلاة وصوم رمضان (فيها بيان عن أقسام المسلمين في الصوم) وإيتاء الزكاة و تأدية الحج والعمرة (وفيها بيان عن حكمهما وكيفية تأديتهما وغير ذلك) وحكمة تشريع القصاص، وبيان عن الطيبات والمحرمات (مثل تحريم الخمر والميسر)، و الطلاق والرضاعة و حكم القتال وغير ذلك من أحكام الشريعة الإسلامية.

^{٧٧} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٩.

والآخر تتجه هذا الاتجاه باستعمال أصول القواعد الفقهية في تفسير الآية مثالها: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)^{٧٨} أي عن القتال في الأشهر الحرام هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، إن القتال فيه أمر كبير مستنكر وقال بعضهم معناه ذنب كبير، ولا شك أن القتال نفسه أمر كبير وحرام عظيم ولا سيما الأشهر الحرام، وما فعله المسلمون من القتال فيها مبني على قاعدة وجوب ارتكاب أخف الضررين إذ لم يكن بد من أحدهما-إذا تعارض المفسدان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفهما-^{٧٩} مثال الآخر الآية بعدها: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)^{٨٠} ذكر هنا جزاء المؤمنين المهاجرين والمجاهدين ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وآله من مكة فرارا بقومه من أذى قريش وفتنتهم إلى المدينة التي عاهده من آمن أهلها من الأنصار أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم، وجب على كل مسلم أن يتبعه في هجرته ليعز الإسلام بأهله ويقدر المؤمنون باجتماعهم على الدفاع عن أنفسهم، واستمر وجوب الهجرة على من قدر إلى فتح مكة إذ خذل الله المشركين وجعل كلمتهم السفلى وكلمة الله هي العليا. وقد اختلف الفقهاء في حكم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام في مثل هذا العصر ويؤخذ من علة وجوب الهجرة في عهد التشريع أنها تجب بمثل تلك العلة في كل زمان ومكان -الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما-^{٨١}

٥. الاتجاه اللغوي

^{٧٨} سورة البقرة/ الآية ٢١٧.

^{٧٩} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١١٤-١١٥.

^{٨٠} سورة البقرة: ٢١٨.

^{٨١} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١١٦.

كما عرفنا أن من أكثر ما يهتم به المفسر في الاتجاه اللغوي هو: الاهتمام بمفردات القرآن مبني ومعنى، والاهتمام بتحديد موقع الألفاظ القرآنية من الإعراب (التحليل الصرفي والنحوي)، وبيان غريب الألفاظ والوجوه والنظائر. ولقد تطور الاتجاه اللغوي في التفسير في مناحي ثلاثة تالية منها: منحى التفاسير اللغوية التي اهتمت بالمفردات، ومنحى التفاسير اللغوية التي اهتمت بإعراب القرآن، و منحى التفاسير اللغوية الجامعة.

أما التفسير المدرسي للحاج عمر بكري أكثر إهتماما بمفردات القرآن كما ذكرنا سابقا عن ترتيب محتويات البحث في التحليلات على الآيات، ذكر هناك قبل تفسير الآيات عرض عمر سورة واحدة أو بعض الآيات التي يريد تفسيرها ثم بعد تقديم الآيات شرح عمر المفردات القرآنية. ومن هنا نعرف أن عمر أكثر إهتماما بالمفردات القرآن. والآن سنقدم عن الأمثلة الآيات التي تتعلق بهذا الاتجاه كما يلي:

بيان عن معنى كلمة "المتقين" في هذه الآية: (ذَلِكَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)^{٨٢} كلمة المتقين من الاتقاء، وأصل المادة من وقى يقى ومعنى الوقاية البعد أو التباعد عن المضار أو مدافعته، وإذا نسب الاتقاء إلى الله، فالمعنى اتقاء عذابه وعقابه باجتناب نواهيه واتباع أوامره. فالمتقي من يحمى نفسه من العقاب الدنيوي والأخروي، ولا بد أن يكون له معرفة تامة بأسباب العقاب فيتقيها.^{٨٣} ثم الآية التالية تبحث عن معنى كلمتين "الآخرة واليقين" (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ

^{٨٢} سورة البقرة: الآية ٢.

^{٨٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ١٤-١٥.

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٨٤﴾ لفظ الآخرة متضمن كل ما وردت فيه النصوص القطعية من الحساب والجزاء بالجنة أو النار. وأما اليقين فهو الاعتقاد المطابق للواقع الذي لا يقبل الشك ولا الزوال، ولا يعتقد ما دون اليقين في الإيمان.^{٨٥} وفي هذه الآية تبحث عن معنى "الكفر" (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٨٦) هذا بيان للقسم الثالث وهم الكافرون الذين يرفضون هداية القرآن وراء ظهورهم، الكفر في اللغة ستر الشيء و إخفاؤه وتغطيته، المراد بالكفر هنا عبارة عن جحود الكتاب نفسه أو النبي الذي جاء به، وبالجملة ما علم من الدين بالضرورة بعد ما بلغت الجاحد الدعوة وعرضت عليه الأدلة على صحتها.^{٨٧}

وقد جاء تفسير آخر عن معاني الألفاظ كما يلي: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)^{٨٨} قالوا إن الوسط هو العدل والخيار وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة هو شر ومذموم.^{٨٩} وفي أية أخرى تبحث عن معاني "السوء والفحشاء" (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٩٠) علل النهي بقوله هذا فأما سوء فهو كل ما يسوءك وقوعه أو عاقبته، ومن الأعمال ما لا يظهر سوء في بدايته ولكنه يتصل بنهايته، فلا بد من البصيرة والتأمل في تمييز بعض الخواطر الشيطانية فإن منها

^{٨٤} سورة البقرة: الآية ٤.

^{٨٥} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ١٧-١٨.

^{٨٦} سورة البقرة: الآية ٦.

^{٨٧} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٢١.

^{٨٨} سورة البقرة: الآية ١٤٣.

^{٨٩} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٣.

^{٩٠} سورة البقرة: الآية ١٦٩.

مالا يظهر بادئ الأمر. وأما الفحشاء فكل ما يقبح في أعين الناس من المعاصي والآثام ولا يختص بنحو الزنا كما قال بعضهم، والفحشاء في الغالب أقبح أشد من السوء.^{٩١} وفي آية أخرى التحليل عن معنى "قرب" (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^{٩٢}) أما معنى قرب الله تعالى فقد قالوا إنه القرب بالعلم بمعنى أن علمه محيط بكل شيء فهو يسمع أقوال العباد ويرى أعمالهم، وهو تمثيل لكمال علمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم وإنما جعلوا الكلام تمثيلاً لأن القرب والبعد الحقيقي إنما يكونان باعتبار المكان وهو منزّه عن الانحصار في المكان، فلا حاجة إلى رفع الصوت ولا إلى الوساطة بينه وبين عباده في الدعاء وطلب الحاجات.^{٩٣}

وبأتي تفسير أخرى بيان عن موقع الألفاظ القرآنية من الإعراب (التحليل الصرفي والنحوي):
وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^{٩٤} والتعبير عن كون - الريب - بأن - للإيدان بأن من شأن هذا التنزيل أن لا يرتاب فيه لأن الحق فيه ظاهر بذاته ولكن: إذا تكن للمرء عين صحيحة # فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر (الشاعر).
وصيغة - التفعيل - في قوله - ونزلنا - تدل على أن القرآن نزل نجوما متفرقة بالتدريج وهو الواقع، وصيغة - أنزل - لا تنافيه وقوله تعالى - من مثله - فيه وجهان: أحدهما أن الضمير في مثله - للقرآن المعبر عنه بقوله: "مما نزلنا". والثاني إنه لعبدنا أي فإن كان أحد ممن يماثله الرسول بالأمية

^{٩١} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٣٣.

^{٩٢} سورة البقرة: الآية ١٨٦.

^{٩٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٦٨.

^{٩٤} سورة البقرة: الآية ٢٣.

يقدر على الإتيان بسورة فليفع! ٩٥ وفي آية أخرى (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٩٦) هذا الاستفهام التعجبي بيان عن صفة كفر الفاسقين مقترنا بالبرهان الناصع على أنه لا وجه له ... الخ. ٩٧ ثم آية أخرى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ٩٨) ولنمتحنكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء وغيره من المصائب البشرية المعتادة في المعاش وأكد بصيغة القسم لتوطين النفوس عليه فعملهم به أن مجرد الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وقوة السلطة وانتفاء المخافة والأحزان بل يجري ذلك بسنة الله تعالى في الخلق. ٩٩ ثم آية تالية (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ١٠٠) قالوا: "وصيغة التعجب يراد بها تعجب الناس من شأنهم إذ لا يتصور حقيقة التعجب من الله تعالى إذ لا شيء غريب عنده عز وجل. ١٠١ ثم يأتي تفسير أخرى اختلاف في الاعراب (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٠٢) (ولتكمّلوا العدة) اختلفوا في إعرابه ف قيل إن اللام للتعليل وهي معطوفة على التعليل لمستفاد من قوله (يريد بكم اليسر) كأنه قال رخص لكم في حال المرض والسفر لأنه يريد بكم اليسر ولتكمّلوا العدة، فمن لم يكملها أداء

٩٥ عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٤٤.

٩٦ سورة البقرة: الآية ٢٨.

٩٧ عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الأول، ٥٧.

٩٨ سورة البقرة: الآية ١٥٥.

٩٩ عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٥.

١٠٠ سورة البقرة: الآية ١٧٥.

١٠١ عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٤١.

١٠٢ سورة البقرة: الآية ١٨٥.

لعذر أكملها قضاء وقيل إنها لتقوية الفعل كما يقول (يريدون ليطفئوا نور الله) أي يريد الله بكم اليسر وأن تكملوا العدة وهو يجري في كلام البلغاء كثيرا.^{١٠٣} وقد جاء أية أخرى تبحث فيه عن الضمير فالمثال: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ^{١٠٤}) (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الضمير يعود إلى الكتاب أي الحكم مسند إليه فالكتاب ذاته هو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، فإن الكتاب نفسه هو الحاكم وليس الحاكم في الحقيقة سواه. ولو ساغ للناس أن يؤولوا نصا من نصوص الكتاب على حسب ما تنزع إليه عقولهم بدون رجوع إلى بقية النصوص لما كان لا يزال الكتاب فائدة. ويجوز عود الضمير على الله أي أنزل الله معهم الكتاب بالحق ليحكم سبحانه وتعالى بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما الحكم إلا الله.^{١٠٥}

^{١٠٣} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ٦٥.

^{١٠٤} سورة البقرة: الآية ٢١٣.

^{١٠٥} عمر بكري، التفسير المدرسي، الجزء الثاني، ١٠٧.